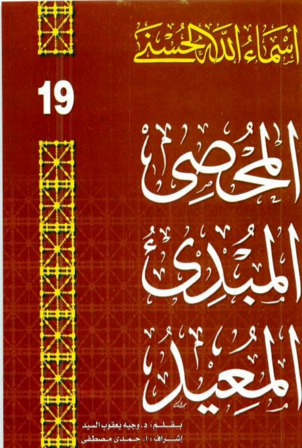


أسماء الله الحسنى
19
المحصي
المبدئ
المعيد
بقلم: د. وجيه يعقوب السيد
إشراف: ا. حمدى مصطفى




كانَ أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطَّابِ يجلسُ مع كَعْبِ الأحْبارِ فقالَ له :

ـ ويْحَكَ ياكعْبُ ! حدِّثْنا منْ حديثِ الآخرةِ .

فقالَ كعبُ :

ـ نعمْ يا أميرَ المُؤْمنينَ ! إذا كانَ يومُ القيامةِ رُفعَ اللَّوْحُ المَحفوظُ ، فلمْ يبقَ أحدٌ منَ الخلائقِ إلا وهو ينظرُ إلى عملهِ ، ثم يُؤتَى بالصُّحُفِ التي فيها أعمالُ العبادِ فتنْشَرُ حولَ العرشِ ، ثم يُدْعَى المُؤمنُ فيُعْطَى كتابهُ بيمنيهِ فينظرُ فيهِ ، فإذا حسَناتُهُ بادياتٌ للنَّاسِ ، كما يجدُ سيِّئاتهِ مدوَّنةً أيْضًا ، فيشْعرُ بأنَّ ما قدَّمهُ منْ عملٍ لا يكْفي لدُخولِ الجنَّةِ ،

لكنْ من رحمة اللّه يجدُ فى آخر الصَّحيفة : أنه مغْفُورٌ له وأنهُ منْ أَهْلِ الْجنة .

وأضافَ :

وأمّا الْكافرُ فيُدْعَى ويُعْطَى كتابهُ بشماله ثم يُلَفُّ فيُجْعَل منْ وراء ظَهْرِه ويُلْوَى عُنُقُه ، فينظرُ فى كتابه فإذا سيِّئاتهُ باديات للنَّاس .

وهنا اسْتَغْفرَ الْحاضرونَ وقالوا :

ـ اسْتَغْفروا اللّهَ منَ الصَّغائر قبلَ الْكبائر ، لأن اللّهَ يُحْصيها ، فإيّاكم ومُحقرات الذّنوب ، فإنها تجتمعُ على صاحبها حتى تُهْلكهُ .

فسُبْحانَ الْمُحْصى الْمُحيط بكلِّ شىْءٍ علمًا ، الذى يُحصى الطَّاعات ويكافئُ عليها ، ويُحْصى السَّيئات ويُجَازى بها ، فهوَ سُبْحانَهُ الذى أحْصى كلَّ شىْءٍ بعلْمه فلا يفوتهُ منها دقيقٌ ولا يشْغلُهُ شىْءٌ عنْ شىْءٍ .

قال (تعالَى) :

﴿ ووُضعَ الْكتابُ فترَى الْمُجْرمينَ مُشْفقينَ ممَّا فيه ويَقُولُونَ يا ويْلَتنا ما لهذا الْكتاب لا يُغادرُ صغيرةً ولاَ

كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ . (الكهف : ٤٩)

والإنسانُ الْعاقلُ الذى يُدْرِكُ حقيقة هذا الاسْمِ ومَعْناه الدَّقيقَ ، لا يليقُ به أنْ يضعَ نفْسَه فى مكان تُحْصَى عليه سَيئَاتُه وتُكْتَبُ ذنوبُهُ ، بلْ عليه أَنْ يضعَ نفْسَه فى الْموضعِ الذى يُحبُّ أن يراهُ اللّه (تعالَى) فيه ، وهو مَوْضعُ الطَّاعَة وأعمال الْبرِّ والإحْسان .

إنَّ الإنسانَ على مدى عُمره الْقصير ، يقومُ بالْعديد منَ الأَفْعال ، وعندما يتقدَّمُ به الْعُمر قدْ يذْكر بعْضها وقدْ ينسى الكثيرَ منها ، لكنَّ اللَّهَ (تعالَى) الْمُحصى لا ينسى شيئًا ولا يفوتُهُ تدوينُ شيْءٍ ، فملائكتُهُ الْكرامُ الْبررةُ يكْتبونَ كلَّ شيءٍ ويسجِّلونهُ بدقَّة فى سجلِّ أعْمال الْعبْد ، حتى تُعْرض عليه يوْمَ الْقيامة ، لئلاَّ يجادل أو ينكر ، فلا مجالَ للجدل أو الإنْكار .

قال (تعالَى) :

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ . (المجادلة : ٦)

وفى هذه الآية تحذيرٌ لكلِّ إنسانٍ من النِّسيانِ أو التَّهاوُنِ ، وتذكيرٌ له بأنْ يستعدَّ لهذه اللَّحظةِ حتى تكونَ صَحيفتُهُ بيْضاءَ ناصعةَ البياضِ .

وإذا تأمَّلَ الإنْسانُ فى نِعَمِ اللَّهِ عليهِ : نعمةِ السَّمْعِ والْبَصرِ والْعَقْلِ والإيمانِ والرِّزْقِ .. إلخ ، وحاولَ أنْ يُحْصِيَ هذه النِّعَمَ ويعرفَ عددَها فلنْ يستْطيعَ ، لأنَّ نعمَ اللَّهِ علينا أكثرُ منْ أنْ تُحْصَى ، ومع ذلك فنحْنُ نسْتَمْتِعُ بها ونغفلُ عن شكْرِ الْمنعمِ بها علينا .

قال (تعالَى) :

﴿ وإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ . (إبراهيم : ٣٤)

ولذلك فقدْ كانَ الرسولُ ﷺ وهو يُدركُ هذه الْحقيقةَ يدعو ربَّهُ قائلاً :

ـ «اللهمَّ لا نُحْصِي ثناءً عليكَ أنتَ كمَا أثْنيْتَ على نَفْسكَ» .

ولذلكَ فعلى الْمسلمِ الصَّادقِ ، أنْ يُكْثرَ منَ الْحمْدِ والشُّكْرِ للَّهِ الذى أفَاضَ عليهِ بالنِّعَمِ والْعطايَا ، وأنْ يُراقِبَ

اللَّهَ فى السرِّ والْعلَنِ ، لأَنَّهُ (تعالَى) هو **الْمُحْصِى** الذى يُحْصِى أَعمالَ الناسِ عليهِمْ ، ولا ينْبغى للإنْسانِ أَنْ يَعْصِىَ رَبَّهُ الْكريمَ الذى أَسْبغَ عليهِ نعَمًا لا تُحْصَى ولا تُعَدُّ .

سُبحانَ اللَّهِ وبحمْدِه ، سُبْحانَ اللَّهِ عددَ خلْقِه ، ورضا نَفْسِه ، وزِنَةَ عَرْشِه ، ومِدادَ كلماتِه ، اللهمَّ إنا لا نُحْصِى ثناءً عليكَ أنتَ كما أَثْنَيْتَ على نفْسِكَ ، فلكَ الْحمدُ ملْءَ السمواتِ ومِلْءَ ما شئتَ مِنْ شَىْءٍ بَعْدُ !




عندما شاءت إرادة الله أن يجعل له خليفة في الأرض، ليعمرها وينتشر نسله فيها، خلق آدم (عليه السلام) من صلصال من حمأ مسنون، وصور آدم من هذه الطينة، وترك بلا روح فترة من الزمن، وكانت الملائكة كلما مرت بهذه الصورة العجيبة، تعجبوا منها وقالوا:

ـ مهما خلق الله من خلق فلن يكون أكرم عليه منا.

وبعد أن نفخ فيه الروح، سرت فيه نسمة الحياة، واستيقظت حواسه، فإذا به يسمع ويرى ويحس. وعلمه الله الأسماء كلها، فظهر فضله وعلمه على الملائكة أجمعين. ولم تتمالك الملائكة نفسها، أمام هذه

الْمُعْجِزَة ، فخرَّتْ ساجدةً للّه الْمُبْدِئ الذى خلق آدمَ على غيْرِ مثالٍ سابقٍ ، ووضعَ فيه من الْعلم والْحِكْمةِ والْمَعْرِفَةِ ما عَجَزُوا عن مُجاراته ، فسلّموا بأمْر اللّه وحِكْمَتِه وقُدْرته ، وراحوا يُسبّحون بحمْده قائلين : ﴿ سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ . (البقرة : ٣٢)

فسُبْحانَ الْمُبْدِئ الذى أوْجدَ الأشياءَ من الْعدمِ بقدرته ، وهو ( سُبْحانهُ وتعالَى ) كانَ قَبْلَ كلِّ شيءٍ ثم بدأ الْخَلْقَ من الْعدم ، فأحْسنَ كلَّ شيءٍ خلقهُ بتقْديرٍ وتدْبيرٍ وعلْمٍ وحكْمةٍ ، والذى يتأمّلُ فى خلقِ الإنسانِ وصُورته على هذا النَّحْوِ الرَّائعِ ، يرى إلى أى مدًى كان إبْداعُ الْخالقِ ( جلَّ وعلاَ ) ، فقدْ سوَّاهُ وعدَّلهُ ، ثم صوَّرَهُ فى أشْكالٍ شتَّى لا حصْرَ لها : الأبيضُ والأسْوَدُ والطَّويلُ والقصيرُ ، هذا إلى جانبِ أسرارٍ ما تنْطَوى عليه نُفوسُ كلِّ هؤلاءِ الْبَشَرِ .

قال (تعالَى) : ﴿ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ

مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ . (السجدة : ٦ - ٩)

وإذا تأمَّلَ الإنسانُ حالهُ قبلَ خلقِه لشكرَ اللَّه (عزَّ وجلَّ) الذى هيَّأَ له فُرْصةَ الوجود وكرَّمهُ بأنْ جعله خليفتَهُ فى أرْضه ، وسخَّر له كلَّ شىء ، وذلَّل له كلَّ صعْب .

قالَ (تعالَى) : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ . (الإنسان : ١ ، ٢)

وهذه الآيةُ تشيرُ إلى أنَّ الإنْسانَ أو آدمَ ( عليه السلامُ ) ، مرَّتْ عليه سنواتٌ قبلَ أنْ ينفُخَ فيه اللَّهُ الرُّوحَ وهو مُلْقًى بيْنَ مكَّةَ والطَّائف ، وكان لا يعرفُه أحدٌ . أو أن الإنسانَ قبلَ خلْقه بشكْلٍ عامٍّ لم يكنْ لهُ ذكْر أو قدْرٌ ، حتى أوْجده اللَّهُ منَ العدمِ ونفخَ فيه منْ روحه ، فصارَ بعْدَ ذلكَ معْروفًا عندَ الخلائق ، وله قدْرُهُ ومنْزلتُهُ ومكانتُهُ . فهذه نعمةٌ من اللَّه وفضْلٌ ، ويكْفى الإنسانَ تشْريفًا وتكْريمًا أنَّ اللَّهَ (تعالَى)

بعزّته وجلاله هو الذى اخْتارَ الإنْسانَ ورفعَ قدْرَه وأعْلى شأنَهُ .

واسْمُهُ (تعالى) **الْمُبْدِئُ** يقْترِنُ كثيرًا باسْمِه (تعالى) الْمُعيد ؛ وذلك حتى يتيقّنَ النّاسُ أنّ اللّه (تعالى) الذى بدأ الْخلقَ وأوْجدهُ من الْعدمِ ، قادرٌ كذلك على إعادتهمْ بعدَ الموتِ ، فكِلا الأمْريْنِ : الْبدْءُ والإعادةُ أهْونُ عند اللّه (عزّ وجلّ) .

قال (تعالى) :

﴿ يوْمَ نطْوِى السّماءَ كطَىِّ السِّجِلِّ للْكُتُبِ كما بدأْنا أوّلَ خلْقٍ نُعيدُهُ وعْدًا عليْنا إنّا كُنّا فاعلينَ ﴾ .

(الأنبياء : ١٠٤)

وقالَ (تعالى) :

﴿ وهُوَ الّذى يبْدأُ الْخلْقَ ثُمّ يُعيدُهُ وهُوَ أهْوَنُ عليْه ولَهُ الْمثَلُ الأعْلى فى السّمواتِ والأرْضِ وهُوَ الْعزيزُ الْحكيمُ ﴾ .

(الروم : ٢٧)

والْمسلمُ الذى يعرفُ هذه الْحقيقةَ ، يشكرُ ربَّه (جلّ وعلا) الذى أوْجدَه منَ الْعدَمِ ، وأعْلى منْ شأنِه ورفعَ ذكْرَهُ وجعلَه

خليفةً فى أَرْضِه ، ويعلمُ أنه (تعالَى) كما بدأ الْخلْقَ فإنه يُعيدُهُ ، فالعَوْدةُ والإِعادَةُ لَيْسَتْ صَعْبةً على اللَّه ، فالَّذى أَوْجدَ الإِنْسانَ والكوْنَ وكلَّ المخلوقات من الْعدَم قادرٌ على أنْ يُعيدَهَا .

اللهمَّ يا مُبْدئُ ، اقْسِمْ لنا منْ خَشْيَتكَ ما تحولُ به بَيْننا وبيْنَ معْصيَتِك ، ومنَ الْيقينِ ما تهوِّنُ به علينا مَصائِبَ الدُّنيا .




كانَ الْمُشْرِكونَ على عَهْدِ رسول اللَّه ﷺ لا يؤْمنونَ بالْبَعْث ، وكانتْ عُقولهمُ الْقاصرةُ لا تتخيَّلُ أنَّ الْحياةَ يُمكنُ أن تعودَ لِلْمَيِّتِ مرةً أُخْرى ، وكانَ السَّببُ الرَّئيسيُّ الذى يمنعهمْ منَ التَّصْديقِ بذلكَ ، هو عدمُ إيمانهم باللَّه ولا بقُدْرته وصفاته وأسْمائه الْحُسْنَى .

وقد تحدَّاهمُ الْقرآنُ الْكريمُ مرَّةً ، وخاطبَ وجْدانَهُمْ مرةً أُخْرَى ، وخاطبَ عقُولَهمْ مرَّةً تلْوَ أُخْرَى لكنهمْ عَمُوا وَصَمُّوا .

وقدْ حَكَى اللَّهُ ذلكَ فى القُرآنِ فى أكثر منْ مَوْضعٍ .

قالَ (تعالَى) :

﴿ انظُرْ كَيفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا

فلا يستطيعون سبيلاً * وقالوا أإذا كنا عظاماً ورفاتاً أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً * قل كونوا حجارة أو حديداً * أو خلقاً مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً * يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً ﴾ .

(الإسراء : ٤٩ - ٥٢)

وفى هذه الآيات يتحدى اللهُ المشركين ، ويخبرهم أنهم لو كانوا حجارةً أو حديداً لم يفوتوا الله (عز وجل) ، فكأن الله (تعالى) يقول لهم : كونوا ما شئتم ، فإن الله يميتكم ثم يبعثكم ، وسوف يدعوكم الله يوم البعث فلا تملكون أن ترفضوا ، فكلُّ شىء سوف يقوم بأمره ، وتعود إليه الحياة لكى يحاسب على ما قدّم وأخّر .

فسبحان **المعيد** الذى يعيد خلقه بعد الموت ليحاسبهم على أعمالهم ويجازيهم بها ، وهو (تعالى) قادرٌ على ذلك دون مشقة أو تعب .

إن البدء والإعادة دليلٌ على قدرة الله المطلقة وعظمته ،

يقولُ الْعربُ عن الإنسانِ الْعاجزِ الضَّعيف : فُلانٌ لا يُبْدئُ ولا يُعيدُ ، فسُبحانَ الذي يُبْدئُ ثم يُميتُ ثم يُعيدُ ، وهو على كلِّ ذلك قديرٌ .

قال (تعالى) : ﴿ يومَ نطوي السَّماءَ كطيِّ السِّجلِّ للْكُتُبِ كما بدأْنا أوَّلَ خلْقٍ نُعيدُه وَعْداً علَيْنا إنَّا كُنَّا فاعلين ﴾ .

(الأنبياء : ١٠٤)

وهذه الآيةُ تدل على أنَّ كلَّ شيءٍ سيعودُ كما كان قبْلَ خَلْقه ، فالسَّماءُ تُطْوى ويُعيدُها اللَّهُ إلى الْهلاك والْفَناء فلا تكونُ شيْئاً ، أوْ تفنى السماءُ ثم يُعيدُها اللَّهُ مرَّةً أُخرى بعدَ طَيِّها وزَوالها على صورة أُخْرى .

أما النَّاسُ فإنَّ اللَّهَ يحشرهُمْ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ، كما بدءُوا في الْبُطون . فعنِ ابنِ عباسٍ قال : قامَ فينا رسولُ اللَّهِ ﷺ بموْعظَة فقال :

ـ «يأيُّها النَّاسُ إنكمْ تحشرون إلى اللَّه حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ﴿ كما بدأْنا أوَّلَ خَلْق نُعيدُه وعْداً علَيْنا إنا كُنَّا فاعلين ﴾ ، ألا وإن أوَّلَ الْخلائقِ يُكْسَى يوْمَ الْقيامةِ إبراهيمُ عليه السلام» .

(رواه مسلم)

وقدْ ذكَرَ اللَّهُ (تعَالَى) الإنْسانَ بأصْلِ نشْأته ووُجوده ، ثم أعْلَمَهُ بنهايَته الْحَتْمية التى كَتَبها على خَلْقه ، حيْثُ كتبَ عليهمُ الْفناءَ وكتبَ على نَفْسه الْبقاءَ والدَّوامَ .

وقدْ أرادَ اللَّهُ بذلك أنْ يتعرَّفَ الإنْسانُ قُدْرةَ اللَّه ، وأنْ يتأمَّلَ مصيرَهُ حتى يستعدَّ ليوْمِ اللِّقاءِ .

قال (تعالَى) :

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ . (البقرة : ٢٨)

ولعلَّ اقْترانَ اسْمه (تعَالَى) الْمُبْدئُ باسْمه الْمُعيد فيه تأكيدٌ على حقيقة مُهمة ، ينبغى أنْ يتنبَّهَ إلَيها الإنسانُ ، فقدْ يصنعُ الإنسانُ شيْئًا ويتقنُ صناعتَه ، لكنهُ قدْ يعْجزُ أن يُعيدَ هذا الشَّىْءَ إلى عناصره الأَصْليَّة ، وذلك بسبب تَحوُّل هذه الْعناصر وتغيُّر خصائصها وامْتزاجها بَبْعض ، لكنَّ اللَّهَ (تعَالَى) يُعيدُ كلَّ شيْء إلى طَبيعَته الأَصْلية دونَ أن يخْتلطَ بشَىْءٍ آخرَ أو تتغيَّرَ معالمُهُ .

قَالَ (تعالى) : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ . (ق : ٤)

فبعدَ الْموت يتحولُ الْجسدُ إلى تُراب ، وقد يمتزجُ هذا بذاكَ ، ولكنَّ اللَّهَ (تعَالَى) عِنْدَهُ كتابٌ حَفيظٌ ، يحفظُ كلَّ شيءْ ، ويعْرفُ أحْجامَ الْبَشرِ وَأشْكالَهم ، وهذه مَقْدرةٌ لا تكونُ إلا للّهِ الْخالقِ الْقادرِ الْمُبْدئِ الْمُعيد .

رقم الإيداع : ١٤٦٩٠
الترقيم الدولى : ٧ - ٣٥٩ - ٢٦٦ - ٩٧٧